النشاط الثقافي في الغرب

انكلترا

المعركة التي خسرناها

لمراسل « الاداب » خالد القشطيني

في ابان عودة الادارة المصرية الى غزة امتلأت محطات القطار في لندن بلافتات تصور فلاحة اسرائيلية متمنطقة ببندقيتها تترصد الفدائيين ، على وجهها من العواطف ما شاء فن التصوير ان يضع وتحتها سطور تهيب بالجمهور ان يضع حدا لقلق هذه المرأة بتجريد مصر من غزة . هذه الصورة لم تكن في المحطات فقط بل نشرتها معظم الصحف وبنداء مشابه . وكانت النتيجة طبعا اننا الفينا الطيبين من الانكليز يعتقدون ان حوادث الحدود لن تنتهي الا بسحب مصر من قطاع غزة . اغرب من ذلك اننا الفينا هؤلاء الانكليز انفسهم الذين ضربوا باقدامهم الارض واصروا على سحب ابنائهم من القناة لا يجدون اي ضرورة لسحب الاسرائيليين ! كان اليهود اول من فطن الى اهمية الرأي العام واهمية تضليله في الديمقراطيات الحديثة . ومنذ قضية دريفوس ودفاع اميل زولا الشهير عنه عمدوا الى كسب الاوساط الفكرية الى جانبهم والسيطرة على الصحف ووسائل الدعاية حتى اذا حصلوا على وعد بلفور جعلوا من لندن بوتقة من الدعاية الصهيونية.

فبم قمنا نحن ؟ في عنفوان الاعتداء الثلاثي على مصر ، قبله وبعده ، لم يكن لدى العرب أي وسيلة هنا غير رابطة الطلبة التي لا تملك حتى دارا لها . فأي جريمة هذه ، ان نفتح بلادنا لدعاية أي أفاق ، من روسي الى امريكي ، ولا نفكر في غزو ديارهم ونحن احوج للتأثير عليهم ؟ لقد كتب الكثير حول فتح دور للدعاية العربية وللفكر والتراث العربي ولقي كل ما كتب كل ما استحق من الاهمال من قادتنا . فهل تكون الدعاية على مثل هذه التفاهة ؟ اننا نستطيع منازلة اليهود في كل شيء الا الاقتصاد ، وما أظن يهوديا يضيع امواله في تفاهة لا تثمر . ليست المسألة اهمالا ولا سوء تقدير ولكن معظم ساستنا نشئوا على التقاليد السياسية الشرقية الصحيحة التي لا يدخل الرأي العام في قاموسها ، وهكذا لم يستطيعوا ان يفهموا دور الرأي العام في سبك سياسة الدول الديموقراطية . وفي الاحوال التي استطاع سياسي فينا ان يعطي للرأي العام حقه لم يستطع ان يدرك قيمة لافتة في محطة قطار في تأثيرها على شعب ٨٧ ٪ منه امي كالشعب العربي وصعب عليه ان يتصور انعدام الامية في دول الغرب .

هكذا وجدنا من تمثلنا هنا هي مجلات وافلام تصدرها شركات النفط والنقطة الرابعة .. الخ.. ونحن نعترف ان هذه المطبوعات تقدم صورة براقة لبلادنا ، براقة في الحقيقة اكثر مما يجب . المهم ان الغرب يرسم العرب بالشكل الذي يعجبهم . في عهد الانتداب كان الشرق كله خرافات وامراضا واستبدادا ليبرروا لانفسهم حق الانتداب . وفي عهد مشروع ايزنهاور ، الشرق كله علم وسعادة وحرية لا يحتاج غير صيانته من عين الحسود . ولكن اين وجهة نظر العرب انفسهم ؟

الحمد لله ان تنبهت مصر اخيرا فعمدت الى تحويل النادي المصري الى النادي الثقافي المصري . ودأب الدكتور حميد البطريق ، مدير المكتب الثقافي ، على جعل هذا التحويل من اسم الى عمل . فالعمل يجري لفتح مكتبة تزيد على ١٠،٠٠٠ كتاب . والعمل يجري في تنظيم برنامج شهري يضم محاضرات وافلاما سينمائية وقراءات مسرحية . والحق ان النادي سبق ان قدم محاضرات كان منها محاضرة الاستاذ عبد الرحمن سامي عن « الموسيقى العربية » مع نماذج قدمها على القانون لقيت كل الترحيب من الانكليز . وفي الشهر الماضي قدم محمد مصطفى فوزي محاضرة مع صور بالفانوس السحري عن «الفن الفرعوني واثره في الفن الحديث » كما قدم البطريق محاضرة عن تاريخ القضية المصرية اثناء معركة السويس . وعرض النادي افلاما مختلفة شملت مؤتمر الرئيس عبد الناصر ونواحي من الحياة المصرية . والآن يجري اعداد نشرة دورية تقدم للانكليز وجهة النظر المصرية .

ولكن دائرة الاستعلامات العراقية ، التي فتحت لنفس الغرض ، سبقت فأصدرت نشرتها في آذار الماضي وقد شملت النشرة التقدم العمراني والنشاط العربي وعرضا لانخداع الجماهير الغربية بالدعاية الصهيونية ، وهي بلا شك مواضيع غنية وجديرة . ولكن المؤسف ان يعوزها الذوق والحصافة وفهم النفس الانكليزية . انها تحاول اقناع الجنتلمن الانكليزي فتستشهد بكوماندور امريكي . لقد زينت غلاف النشرة ، ويفرض في الغلاف ان يكون الاعظم جاذبية وتأثيرا ، صورة زاوية من حائط لا يعلو على المتر ، تبعثرت الحجارة والانقاض من حوله ونفر من المهلهلين بالاسمال من خلفه واصبح صورة للتعاسة لا يحاكيها غير حائط المبكى في القدس . وتحت الصورة سطرت عبارة «دار البرلمان في بغداد » . ان اوسكار وايلد لم يكتب في حياته عبارة اكثر تهكما . وعندما اقارنها بصورة الفلاحة الاسرائيلية لا ادري لماذا تصر النشرة على الحجار والسمنت وبناية البرلمان في اول تشييدها ؟..

وبعد فأين نشاط الشقيقات الاخرى ؟ السؤال عقيم . فلا يمكن لكل دولة عربية ان تقوم بنشاط مشابه على حدة . والواقع ان تفرق هذا النشاط هو سبب ضعفه . فلماذا لا تقوم الجامعة العربية بالعمل على فتح بيت عربي في لندن وجمع كافة الامكانيات العربية هنا وتكريسها للقيام بسلسلة محاضرات وحفلات سينمائية وموسيقية واصدار مطبوعات على فترات متقاربة ؟ حقا ان صالات النادي المصري تضطلع بلم العرب في لندن وتفتح ابوابها لاجتماعات رابطة الطلاب وغيرها ، ولكن كل ذلك احسان من الدكتور البطريق . مهما يكن فلن تستطيع دولة واحدة القيام بالكل . والحقيقة ان مكتبة النادي غير معدة لعرض الدعاية او الثقافة العربية والا فما معنى وجود الكتب التكنولوجية فيها؟ ان الثلاثين فيلما التي تملكها لا تصلح لاكثر من العرض . والنشرة الدورية التي ذكرناها تصدر حوالي كل ستة شهور ، وهكذا ستسارع مثلا للكتابة

النشاط الثقافي في الغرب

عن العدوان الثلاثي في الخريف القادم .. وبالاضافة فان هذا النشاط لا يقصد الجمهور الانكليزي الا عرضا ، انه ما زال يعيش في الشرنقة والانطواء على النفس التي يعيش بها الرعايا العرب .

هذا المسعى جزء من نشاط ثقافي واسع . فنحن لا ننتظر من الاجانب ان يستمعوا الى مناقشاتنا السياسية قبل ان ننال تعاطفا منهم . يجب ان ننال ثقتهم بفكرنا وعقلنا وفنوننا ويجب ان نفتح في قلوبهم اذنا لاغنية شكوانا . لقد غزا اليهود في فترة قصيرة قاعتي البرت والفستفال بفرقة اسرائيل الفلهارمونية ثم بفرقة راقصة وأقاموا معرضا للتراث الاسرائيلي لم اجد اتفه منه في حياتي ولكن المتحف الانكليزي فتح صدره للمعرض. وان المؤلفات الاسرائيلية تفرق الاسواق : المسرحيات اليهودية تمثل باليهودية على مسرح الونتر كاردنز ، ومع ذلك فطه حسين يقول ان ادبنا ادب عالمي ! أين هو اذن ؟ الكتاب العربي الوحيد الذي اجده في المكتبات الانكليزية هو الف ليلة وليلة ، وهو دائما مع المجلات الباريسية . والحق ان ادب الانكليز والفرنسيين لم يلق رواجا بيننا الا بعد ان روجت له مئات المعاهد البريطانية والفرنسية في طول بلادنا وعرضها . ان العمل الفني ازعج من خطابة خائن اذا لم تستقبله بطانة نفسية جاهزة . يجب ان نجبر الغربيين على تذوق موسيقانا ورقصنا والوان تصاويرنا الصارخة . قد يجد البعض خيالية طفلية فيما اقول . فان وجدوا تلك فلن يعرفوا شيئا عن تاريخ الفنون ولا عن كسب الفلوس . ان هوليود تجمع الملايين من هز البطن الشرقي . كل ما في الامر ان راقصاتنا يتناولن خمس وجبات في اليوم ويأخذن ثلاث حبوب مشهية للطعام بعد كل وجبة . لقد رأينا على مسرح الستول كيف خلق الروس بدائع من الرقص الاسلامي ، وكيف ظل الجمهور الانكليزي يضرب بقدميه لساعات مصفقا للراقصة الاوزبكية اسماعيلوفا ، وكيف قدم الاوزبكيون على الدف ، آلة الدراويش البسيطة ، عزفا منفردا ما انقطعت الستارة ترتفع وتهبط وما انفك الناس لحظة يصفقون له . ان الدبكات العربية ورقص الاقليات في العراق وسوريا لا يقل مطلقا عما نراه باسم الرقص الشعبي . ولم ذلك ، ان رابطة الطلبة العرب قدمت ضروبا بسيطة منه في حفلاتها الراقصة السنوية فهل خيبت أحدا ؟

صحيح ان الغربيين يمقتون المقامات والمواويل ولكني ما عزفت احدى قطعنا الحديثة لانسة الا وقفزت على قدميها راقصة . اني واثق انهم سيجدون في موسيقى عبد الوهاب بعض المتعة ، على الاقل متعة تصيدهم قطعهم الغربية ، وقد ازدردها عبد الوهاب هنا وهناك (ولا نريد ان نقلل من فضل عبد الوهاب هنا مطلقا) . لا احد يعرف ما يحدث في الفن والفكر . من كان يتوقع ان تفتني الباليه بشيء من الرقص الشرقي ؟ ولكن هذا هو ما حدث بعد زيارة الراقصة الهندية شنتراو وفرقة كوبال الى درجة ان « التايمس » اعتبرته نقصا في الباليه البلشفية عدم مشاهدتهم كوبال .

الهند ، اليابان ، اندونيسيا ، افريقيا ، كلها غزت لندن في الشهور الاخيرة ، فاغتنوا وأغنوا العالم باحتكاكهم ، وفتحوا في صور الغرب منافذ لتراثهم هي بدورها اسس لتفاهم اعمق وتعاطف وجداني ازاء مشاكلهم وقضاياهم ، وبعين الوقت نفض الشعور بالنقص الذي يطأطىء رؤوس الشرقيين جميعا . وانني اذ اقرأ برنامج النشاط الثقافي في لندن لا يسعني الا الخجل . ها هي حلقة الموسيقى الشرقية لهذا العام تضمنت برنامجا حتى من النيبال والتيبت ولكن لا شيء من العرب . نسجل مثل ذلك عن جمعية الافلام الشرقية ، ومثل ذلك برامج المنوعات المسرحية ومثل ذلك البرنامج الثالث من الاذاعة .

في العام الماضي أقام الرسامان المصريان رمزي مصطفى وحسن حشمت معرضا خاصا وستقوم آنسة مصرية ناشئة هي الآنسة مارلينا كلوناريس بمعرض آخر هذا الصيف. ولكن يتضح ان هذه الجهود الفردية صيحة في واد . فلماذا لا تعبأ جهود منظمة لحشد نخبة من انتاج عربي موحد وعرضه في عواصم مختلفة ؟ هنا تعود القصة الى اولها ، فمثل هذا المعرض لم يحدث في نفس بلادنا العربية بالرغم من ان اليونسكو قدمت في تنظيم مثل هذا المعرض درسا لجامعتنا العربية لم تفهمه على ما يظهر . لا ادري ، ربما كانت العوائق مادية . ولكننا نعرف ان مصر خصصت ٧٠،٠٠٠ جنيه من ميزانيتها لمساعدة المسرح فهل شق عليها وعلى الدول الشقيقة ان تكتتب بأموال قلت او كثرت لصقل انتاجنا ثم دفعه الى المحيط العالمي فيتنفس فنانونا هواء جديدا في آفاق جديدة تزيدهم خبرة وثقة ، ونكسب لانفسنا سمعة ومنفذا بين العالم ونضع على الاقل اسمنا في حلبة السباق ؟

لندن — **خالد القشطيني**

رائد البكالوريا

اول سلسلة من نوعها في اللغة العربية ، تهدي طالب البكالوريا وتساعده على السير في غياهب الامتحانات، فيحكم الاجابة ويتقن صياغة الموضوع. صدر منها خمسة اجزاء في الادب العربي، وجزآن في الادب الفرنسي .

موضوعات جاهزة مدروسة

موضوعات مخططة ملخصة

أسئلة للتوسيع

قال عدد من الناجحين انهم مدينون لرائد البكالوريا في نجاحهم

اطلبه من جميع المكتبات ومن دار العلم للملايين